او يوزن له وزنا الا الصابرين فانهم يحثي لهم حثيا وروي الشعبي لكن بسند
ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيمة لاهل
الصلاة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلا بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل ولما كان للعبادة ركنان
عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدمه سبحانه
بقوله تعالى قل اي يا اشرف المرسلين اني امرت قرا نافع بفتح اليا
والباقون بسكونها ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد
لا اشرك به شيأ ثم ذكر عقبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام
المذكور في قوله وامرت لان اي لاجل ان او بان اكون اول المسلمين
اي من هذه الامة وبهذا ازال التكرار وقال الزمخشري فان قلت
كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف
جهتيهما وذكر ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي والامر به ليحوز
قصب السبق في الدين شي اخر واذا اختلف وجها الشي وصفاته
ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولما دعي المشركون النبي صلى الله
عليه وسلم الى دين ابايه امره الله تعالى بقوله سبحانه قل اني اخاف ان
عصيت ربي اي المحسن الي المربي لي بكل جميل وعبدت غيره عذاب
يوم عظيم والمقصود من هذا الامر المبالغة في زجر الغير عن المعاصي
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو اني بفتح اليا والباقون بسكونها قل الله
اي المحيط بصفات الكمال وحده اعبد مخلصا له وحده ديني من الشرك
قال الرازي فان قيل ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا ديني قلنا ليس
هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالايمان
بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله تعالى وذلك ان
قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر
اي الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد
قال بعده فاعبدوا اي انتم ايها الداعون في وقت الضر المعرضون في
وقت الرجا ما شئتم من دونه اي غيره وفي هذا تهديد وزجرهم وايذان
بانهم لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله تعالى قل ان الخاسرين
اي الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم اي اوقعوها في هلاك لا يعقل
هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم يوم القيامة ايضا لانهم ان كانوا
من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل
الجنة فقد ذهبوا ذهابا بلا رجوع بعده البتة وقوله تعالى

الا ذلك

الا ذلك اي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة هو الخسران المبين اي
البين يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران
ثم اعاده بقوله الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرار لاجل التاكيد
وثانيها ذكر حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قال
بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى
هو الخسران ولفظة هو تفيد الحصر كانه قيل كل خسران يصير في مقابلته
كلا خسران ورابعها وصفه بكونه خسرانا مبينا يدل على التهويل ولما
شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل من النار اي طباق من النار ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد ونظيره قوله
تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش فان قيل الظلة ما علا
الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة اجيب باوجه احدها انه من
باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها ثانيها ان الذي تحت يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة
درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة الظلة الفوقانية
في الحرارة والاحراق والايذا اطلق اسم احداهما على الاخرى لاجل المماثلة
والمشابهة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات ذلك اي
اي العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده اي المومنين ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه وقيل يخوف الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى
يا عباد فاتقون اي ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله
تعالى ونصيحة بليغة ووجه الدلالة ان اضافة العبيد الى الله تعالى
في القران تختص باهل الايمان والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ غاية
الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان
فيها قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت قدمت اليا على
العين ثم قلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها اطلقت على الشيطان
او الشياطين مصدرا وفيه مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين
الشيطان طغيان وان البنا بنا مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص قال في الكشاف
اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد به هاهنا الجمع اهـ لكن ابن الخازن
فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه الجلال المحلي فان قيل يتعين هذا
هذا التفسير لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بان
الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان هو الداعي كانت عبادة
الصنم عبادة له فان قيل ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على
التفسير الثاني مع انه لا يطلق الا على الشيطان كما مر اجيب

Copyright © King Saud University